تصميم
Mona
El Mogy
رواية
أرض الأموات
أحمد حسن

* مقدمة

* قارئى العزيز تحية طيبة و بعد .....

اذا كانت هذة المرة هى الأولى لك فى قراءة اعمالى القصصية البسيطة إذن دعنى أرحب بك فى عالمى المتواضع و أتمنى أن تنال كتاباتى إعجابك و اذا كنت ممن سبق لهم و قاموا بقراءة إحدى الأعمال السابقة فهذا شرفا كبير لى اهلا و مرحبا بك أيضا و أتمنى أن أكون عند حسن ظنك بى ارجو منك فضلا و ليس أمرا أن ترسل لى رأيك و تقييمك للعمل و استفساراتك ايضا على إحدى هذة الحسابات بالاسفل و يمكنك ايضا متابعتى من خلالها إذا أردت ذلك ولا تنسى أن رأيك هو شيئا هام للغاية و مؤثر جدا و سوف يساهم فى انتاج الأعمال القادمة سواء كان النشر ورقى أو الكترونى فى النهاية اتمنى لك قراءة ممتعة دمت بخير يا صديقى / صديقتى

الصفحة الشخصية فيسبوك / https://www.facebook.com/profile.php?id=100046332548228

الصفحة الرئيسية فيسبوك / https://www.facebook.com/Writer.in.the.land.of.God/

جى ميل / ahmedhassan15891@gmail.com

(أرض الأموات)

_ الرحمة يا الله .. الرحمة يا الله

هكذا كنت أردد دون وعى ، و ظللت ابسمل و احوقل و اعتصر ذاكرتى التى فقدت جزءا كبيرآ منها ، محاولا استعادة بعض الآيات القرأنية الصغيرة التى احفظها عن ظهر قلب ، نظرآ لكونى رجلا أميآ لا يعلم القراءة و الكتابة ، و كان لسانى يتلوها متلعثمآ _ و الكلمات تخرج من بين شفتى المرتجفتان بصعوبة بالغة ، اننى رأيت ما لم تتحمل رؤيته عين بشر ، كانت ليلة سوداء بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، كان قلبى الواهن ينتفض داخل قفصى الصدرى ، ربما كان يحاول الفرار من هول الموقف _ و لعدة مرات كاد أن يتوقف عن العمل ، لولا ستر الله ، كنت احجب عيناى عن الرؤية بواسطة كفى ، لكنهم لم يكفوا عن اللهو و الصراخ المرعب و العبث فى كل شئ ، و ظللت اسب هذا الوغد المدعو (عماد) صديقى ، الذى تسبب فى مجيئ إلى هذا الجحيم بكامل ارادتى اللعينة ، فليذهب المال إلى الجحيم ، كان الجوع سيكون أكثر رحمة و رفاهية ، مقارنة بالتواجد داخل هذا المكان الملعون ، اننى محاصر من جميع الاتجاهات ولا املك من امرى شيئاً ، سوى الدعاء بالنجاة أو الموت السريع _ الذى كنت أفضله عن ما كنت فيه ، لم يستطيع عقلى تحمل كل ذلك ، بدأت الرؤية تهتز و تتلاشى ببطء تدريجى ، حتى أصبحت الصورة سوداء تماما ، و هنا .. هنا بالتحديد فقدت الوعى

" معظم الأشخاص الذين يقطنون المناطق الشعبية يمتلكون أسماء مستعارة ، يطلق عليها بى لغة الشارع المصرى (اسم الشهرة) ، و جميعها لا تمت بصلة لأسمائهم الحقيقية ، و أكثرها أسماء مضحكة و غريبة و كأنها طلاسم من الكابالا ، و تختلف أسباب إطلاقها على حامليها ، فأحيانا تدل على إحدى صفاتهم و أحيان أخرى تكن مرتبطة بفعل ما أو ربما ذكرى معينة ، اذن لا تتعجب ان اخبرتك ان (عفريته) هو الاسم الذى يلقبونى به أصدقائى ، ربما هذا اللقب قد يوحى بشراسة حامله _ او ان الاخرين يخشونه مثلما يخشون الجان و الشياطين ، لكن اذا ظننت هذا فأنت مخطئ ، لأنى بكل بساطة شخص مسالم إلى أبعد الحدود ، أو كما يقولون (ماشى جمب الحيط) ، لكن هناك قصة لهذا اللقب سأخبرك بها بعد قليل ، اولآ احب ان اعرفك بنفسى حتى تستطيع أن ترسم لى صورة فى مخيلتك ، اسمى الحقيقى هو محمود ، تخطيت الاربعون عاما من العمر منذ عامان ، اعيش فى إحدى الاحياء الشعبية بمحافظة القاهرة ، لا اعلم كيف أصف لك شكلى _ لكنى سأحاول أن اقرب لك الصورة لكى اساعدك على رؤيتى ، متوسط القامة لست بالقصير ولا املك طولا شامخا ، امتلك رأس فقدت الشعر المجعد بداية من جبهتى العريضة حتى المنتصف ، لدى عينان بنيتان متسعتان ، و ارنبة انف معكوفه ، تطل على شاربى العريض المتدلى طرفيه ، فوق شفتى الغليظتان ، و عنقى القصير بعض الشئ ، الملتصق بجسدى الممتلئ قليلآ ، المميز بظهرى ذو الانحناءه الملحوظة للنظر ، و هذا كل شئ ؛ ستبتسم كثيرا و تسخر منى ، و ربما ستنفجر فى ضحك هيستيرى ، عندما تعلم إننى أخشى الفأر مثلما تخشى انت الأسد ، ستظن اننى ابالغ لكنها الحقيقة التى يعلمها جميع من يعرفنى ، لا تتعجب يا صديقى فكل شخص منا لديه مخاوفه ، دعنى احكى لك موقف صغير لكى تتأكد بنفسك ، ذات يوم و كان الخميس بلا ريب ، و داخل موقع عملى الذى هو مصنع عملاق يحوى بداخله عدة ماكينات هائلة الحجم ، ذهبت إلى مكتب صاحب العمل لأتقاضى راتبى الاسبوعى كالمعتاد ، المكتب عبارة عن غرفة ترتفع عن الارض بمقدار عشرة أمتار ، يتدلى منها درج حديدى مائل _ يجب ان تتوخى الحذر عند صعوده لكى لا تسقط فتتهشم عظامك ، عندما انتهت مهمتى و اثناء عودتى الى الاسفل عبر الدرج ، توقفت فجأة و تصلبت أطرافى عندما وقعت عينى على ذلك الفأر الجسور الجالس فوق احدى درجات السلم الحديدى ، لم أتذكر وقتها سوى اننى أطلقت صرخة مرتفعة دوت فى الأرجاء ، و سقطت ارضا فاقد الوعى ، عندما عودت الى الحياة من جديد ، بواسطة رائحة البصلة التى الصقها أحدهم بفتحتى أنفى ، هذا الطقس المصرى الشهير القادر على إيقاظ الموتى ذاتهم ، وجدت وجهى ملطخ بالدماء ، و ذلك لأنى اصبت بعدة خدوش و جروح سطحية ، نتجت عن تدحرجى فوق درجات السلم الحديدى مثل كرة القدم ، فيما بعد علمت أن الوغد المدعو (بدير) صديقى فى العمل _ هو من وضع هذا الفأر البلاستيكى اللعين ، متعمدا إثارة رعبى كنوع من المزاح السخيف ، الذى كلفه خسارة عمله فى ذلك المكان ، نعم لقد قام صاحب العمل بطرده جزاء لفعلته السوداء ، لولا ستر الله لكانت تهشمت جميع عظامى و لازمت الفراش الى الابد ؛ سأجيب الان على السؤال الذى يلح عليك منذ البداية ، ما هو عملى بالظبط ؟ ، اعمل فى مجال الغزل و النسيج و المسمى الوظيفى (فنى نسيج) ، او بطريقة مبسطه عامل تشغيل لإحدى انواع الماكينات العملاقه ، التى تقوم بغزل مجموعة من الخيوط لتنتج لك الاقمشة و المفروشات المختلفه ، هذة هى مهنتى منذ ثلاثون عاماً تقريباً ، لا احمل تجاهها كرهآ لكنى أيضا لا اعشقها ، لكنه الاعتياد على فعل شئ لأعوام كثيرة _ و الشعور بأنه لا مفر منه ، لم يتبقى فى العمر مثل ما مر لأتعلم شيئاً آخر أو امتهن آخرى إنه (اكل العيش) كما تعلم ، و لا اريد أن اثير غضبك أكثر من ذلك و اجعلك تمل منى بسرد تفاصيل مهنتى التى لا تهمك فى شئ ، سألخص لك الأمر بأنها مهنة شاقة كباقى المهن الحرفية ، تستهلك من عمرك يومياً اثنتى عشر ساعة ، تجعلك تشعر بأنك سجين خلف القضبان ، تودلف تحت نور الصباح فى تمام الثامنة إلى داخل المصنع ، ذو السقف المصنع (بضم حرف الميم) من الصاج الذى يتشبع بأشعة الشمس منذ شروقها حتى مغربها ، ليبث حرارته اليك طوال اليوم ، ثم تغادره فى الأمس تحت عباءة الليل المظلم ، شبه منعزل عن العالم غارقآ فى بئر الروتين الذى لا ينضب ، و على الرغم من حريتك الظاهرية فى المغادرة وقتما تشاء و التمرد على هذا الوضع ، الا انك لن تجسر على فعل ذلك ، لانك بكل بساطة مكبل بعدة التزامات و هناك من هم مسؤولون منك ، لذلك لا مفر من مواجهة قدرك و الاستسلام للأمر مدعياً المرونة المزيفة ، و فى النهاية يجب ان تكون على يقين تام بأن ما تعيشه اليوم ليس هو إلا نتيجة لقرارات الأمس ، فلا تلومن الا نفسك ، كما يخبرنا رواد التنمية البشرية دوماً ، إنه مصدر رزقى على كل حال ؛ لست بثرثار لكنى شعرت بأنه لابد أن انقل لك _ مشاعر جميع من يمتهن نفس المهنة أو المهن المشابهة لها ، و الان دعك من كل ذلك _ و هيا بنا لأقص عليك ما حدث ؛ فى فترة معينة ارتفعت اسعار الغزل نتيجة ارتفاع سعر الدولار ، و قد تسبب ذلك فى تعطيل عدد لا بأس به من المصانع الصغيرة ، لذلك اصبحت جليس المنزل مثل الكثيرين ، بناء على طلب رب العمل الذى أخبرنا بكل بساطة ان (الشغل مريح) ، فى تلك الفترة كانت حالتى الاقتصادية اقتربت إلى الصفر ، لقد بددت المبلغ الصغير الذى كنت ادخره منذ سنة خلال ثلاثة أشهر فقط ، و ذلك لاننى متزوج و لدى ثلاثة اطفال فى مراحل دراسية مختلفة ،

بالإضافة الى اجرة السكن و فواتير الكهرباء و الغاز و المياه و..... إلخ ، انت تعلم كل ذلك بالطبع ؛ و ذات يوم اخبرنى احد أصدقاء العمل عبر الهاتف _ أنه تلقى مكالمة هاتفية من صاحب عمل ، أخبره إنه يحتاج إلى عاملان و سيقوم بإعطائهما ضعف الأجر ، كان ذلك يكفى للموافقة على التغيب عن اسرتى طوال الاسبوع و العودة إليهم فى نهايته ، خاصة ان موقع العمل داخل قرية ريفية تقع فى محافظة اخرى ، لكن لا يهم نحن فى حاجة إلى المال ، و تلك هى الحياة دوما لا شئ دون مقابل .

.....

البداية.....

_ هل انت واثق فى أمر ضعف الاجر هذا ؟

هكذا تسائلت فى جديه ، أثناء جلوسنا داخل سيارة الأجرة التى تشق طريقها إلى تلك القرية

_ بالطبع يا صديقى ، و هل يجوز المزاح فى مثل هذة الأمور !

قالها عماد صديقى ، دون ان يتخلى عن رفع حاجبيه كالمعتاد

_ لكننى أشعر بأن هناك سرا ما وراء هذا الأمر .

_ لا ترهق عقلك ، و دعها تأتى كما أراد الله .

قالها ثم غط فى ثبات عميق ، بعدما عقد زراعيه امام صدره ؛ عماد رجل اربعينى ، يمتلك رأس أصلع ، و عينان خضراوتان ضيقتان ، و بشرة قمحية اللون ، و وجه طويل ، و وجنتين بارزة عظامها ، و جسد نحيل جدا ، اذا رأيته رؤى العين ، ستظن انه أحد ملوك الفراعنه و دبت به الحياه من جديد ؛ بعد مرور بعض الوقت كنا قد وصلنا الى المكان الذى نقصده ، بعدما نقلتنا سيارة اخرى داخل القرية ، و من ثم استأنفنا طريقنا سيرا على الاقدام ، حتى وصلنا إلى ذلك المكان المنعزل ، و هو مصنع صغير لا يتخطى المائتى متر مكعب ، تحيطه الأراضى الزراعية من ثلاثة جوانب على شكل مربع ناقص ضلع ، اما الجانب الامامى الذى هو الواجهة ، توجد به البوابة الرئيسية للدخول ، و التى تطل على مجرى مائي (ترعة/مصرف) ذات مياة راكدة سوداء اللون ، مما يجعلك تجزم بأنها مر عليها آلاف السنين ، تتناثر فوق صفحة الماء القذرة أكياس القمامة و فضلات المواشى ، و جثتان فى طريقهما الى التحلل ، الأولى لحمار متعفن منتفخ تقف الغربان أعلى جثته و تنعق بصوتها المشئوم، و الأخرى لبقرة مبقورة البطن يمرح بجثتها الدود اللزج ، و أشياء كثيرة تدعوك إلى الاشمئزاز و التقزز و الغثيان ، حتى اننى لم استطيع ان أتمالك نفسى و قمت بالتقئ _ فور وقوع عينى على تلك الأشياء

_ يجب أن نتحمل هذة القذارة ، تذكر أننا فى حاجة ماسة إلى المال .

قالها عماد مواسيا ، فى مرونة يحسد عليها ، فأومأت برأسى ايجاباً دون أن اتفوه بكلمة

كان محقآ ، أى شئ لا يهم أنه (اكل العيش) كما اخبرتك من قبل ، دولفنا إلى الداخل كان المكان لا يختلف كثيرآ عن اى مصنع اخر قمت بالعمل به من قبل ، نفس التفاصيل التى تبث بداخلك الكآبة عبر الرؤية لتتجرعها فى صمت ، مساحة متوسطة بين الضيق و الاتساع إلى حد ما ، جدارن من الطوب الاحمر ، سقف من الصاج على شكل مثلث ، يحوى المصنع بداخله ماكينتان عملاقتان ، موضوعتان فى منتصف المكان يقفان فى شموخ مثل جبلان ، و هناك فى زاوية الركن الايمن مجموعة من الجوالات ، تحوى عدد كبير من بكرات الخيوط أو كما نطلق عليها بلغة المهنة (كون) ذات الألوان المختلفة متراصه فى عشوائية ، اما زاوية الركن الايسر كانت تشغلها ثلاجة ذات لون أخضر باهت من الطراز القديم ، بجوارها كان يقبع بوتاجاز متهالك يملئه الصدأ ، بجانبهما رف خشبى يجلس فوقه فى تؤده راديو قديم تكسوه الأتربة _ ربما يعود طرازه إلى زمن الفن الجميل ، اما الواجهه التى هى دبر المصنع لكنها فى مواجهتك عندما تعطى ظهرك للبوابة الرئيسية من الداخل ، كانت بها عدد خمسة مطاوى جمع (مطواة) نعم ما تقرأه صحيح ، لكنها لا تمت بصلة لذلك السلاح الأبيض اللعين الذى ظننته ، بل هى عبارة عن عمود حلزونى تم صنعه من الحديد و به اسطوانتان من الطرفين على شكل دائرى ، و وظيفتها هى حمل عدد هائل من الخيوط بشكل منظم _ و من ثم تعلق عند دبر الماكينة لتمدها بالخيوط من الخلف ، ثم تمر تلك الخيوط بمراحل أخرى حتى تظهر لنا فى مقدمة الماكينة على هيئة قماش ، لا تجزع اعلم انك لست هنا لكى تحظى باحدى الدروس الخاصة فى فن صناعة الاقمشة ، لكننى اردت ان اضيف اليك بعض المعلومات البسيطة جدا عن مهنتى ، التى ربما لن تتسنى لك الفرصة لمعرفتها ؛ و بالفعل قمنا بمقابلة رب العمل الذى كان ينتظرنا ، و هو رجل قصير القامة ، فى عقده الخامس من العمر ، ذو بشرة سمراء ، تغزو الشعيرات البيضاء فروة رأسه بلا رحمة ، عيناه ضيقتان ، و لديه نظرة توحى بمكر صاحبها ، ولا يوجد شئ اخر فى ملامحه يستحق الذكر ، استقبلنا بإبتسامة واسعة كنوع من الترحيب ، ثم تم الاتفاق بيننا اننى سأعمل فترة النهار و عماد سيعمل خلال الفترة الليلية ، أصعب ما فى مهنتى كما اخبرتك هو عدد ساعات العمل الاثنتى عشر ساعة ، الذين يجعلونك تشعر بأنه لا وقت لديك للإستمتاع بالحياة ، انت لا تملك رفاهية اوقات الفراغ اللهم الا عطلة نهاية الاسبوع ، هذا اليوم الوحيد الذى تملكه فقط لكى تنفقه داخل جزيرة القطن (الفراش) ، لكنى على يقين تام بأننا جميعا لم نخلق فى هذة الحياة من أجل الراحة ، لأنها بكل بساطة دار اختبار ؛ و بالفعل بدأنا العمل لم يكن هناك أحدا يعمل سوانا ، لكنى كنت مطمئن بوجود عماد بجانبى ، على الرغم من انه يقضى النهار فى النوم _ فوق الحسيرة التى يفترشها بجانب إحدى جدران المصنع ، لكن وجوده كان كافياً ليؤنس وحدتى .

.....

اليوم الأول.....

.....

قضيت يومى الاول فى العمل بكل قوه و استهلكت نسبة كبيرة من طاقتى ، كان ذلك تحت أنظار رب العمل الذى كان سعيداً للغاية برؤية ماكيناته تنتج ، علمت ذلك من ابتسامته التى لم تفارق وجهه طوال اليوم أثناء متابعته لى ، و كنت اعلم السبب لانه أخبرنا به أثناء تناولنا وجبة الإفطار الذى أعدها لنا من ماله الخاص ، كنوع من حسن الضيافة ، حين قال أن هاتان الماكيناتان لم يعملا منذ ستة أشهر ، لعدم توفر العمال الذى نعتهم كباقى أرباب العمل أنهم (مش بتوع شغل) ، لكنه لم يكن السبب الحقيقى فى الأمر ، فهناك ما هو ابشع و ذلك الذى سنعلمه فيما بعد ، دائماً و أبداً يكن بباطن جميع الحقائق الظاهرة جزء كبير بشع يتعمد الجميع إخفاءه ، و عندما تسمح لك الفرصة و حظك السئ أن تعلمه ، وقتها .. وقتها فقط ستعلم أن الجهل ببعض الأشياء يعد من أفضل النعم ؛ احمد الله انك تقرأ فقط لأنك لو كنت هنا كنت ستغادر دون

تفكير ، لانك لن تستطيع تحمل الصخب الذى يعزفه هذا النوع من الماكينات ، إنه أشد قسوة من طبول الحرب التى تكاد تمزق الطبقة التى تحمى اذنك من الداخل ، لكننا اعتدنا سماع هذا الصخب و لم يعد مزعجآ بالنسبة لنا ، مثلما اعتادت أنوف عمال المشارح على استنشاق الفورمالين ، و عمال طلاء الأثاث على المواد ذات الروائح النفاذة ؛ فى مساء اليوم الأول و بعدما استيقظ عماد من نومه الابدى كفرعون ، قمنا بتناول وجبة الغداء _ التى جلبها لنا رب العمل ، قبل أن يستقل سيارته و يغادر ، و اخبرنى أنه بداية من الغد ، على أحدنا أن يذهب إلى السوق لشراء متطلباتنا ، فشكرته مبتسما على كرمه

_ اظن أن هذا الرجل طيب القلب ، فما رأيك يا عماد ؟

سعل عماد فأنفرج فاه إلى آخره ، ثم بصوت متبلد قال :

_ انت من تملك قلبا طيبآ يا صديقى ، انه يتودد الينا ، لكى نظل تحت ولايته ، لا اكثر .

فأبتسمت له دون أن أعقب على كلماته ، فأنا أؤمن دائما برؤيته و حكمه على الاشخاص و الاشياء ، لانه يمقت الكذب و التملق ، و على الرغم من أن كلماته قاسية دائما لا تختلف عن الحجارة ، الا انها صادقة و هذا يكفى ؛ و بينما كنت الوك قطعة من الدجاج و استكشف المكان بنظرى ، فجأة و دون مقدمات قفزت إلى الخلف بطريقة خارجة عن ارادتى ، و صرخت بصوتا مرتفع ، و كادت مقلتى عينى أن يغادرا محجريهما مما رأيت

_ ماذا بك ايها المعتوه ؟

امتدت سبابتى اليمنى مشيرة إلى الشئ المفزع ، و جسدى يرتجف ، قائلاً :

_ انظر هناك ، انها .. انها افعى ، سترك يا الله .

كانت تزحف بطريقة أشبه بالترنح ، و يتراقص لسانها التى تتنفس من خلاله كما تعلم ، ليضخ الادرينالين فى مخك بكثافة فور رؤيته ، و لها فحيح يجعل جسدك يرتعد ، انتصب عماد واقفا ، و ظفر بسيخ حديدى كان مستندا على الجدار بجانبنا ، و اتجه إليها فى جسارة لا املكها بالطبع ، فتوارت خلف الثلاجة سريعآ ، توقف على مقربة من موقعها ، و طرق الجانب الايسر للثلاجة بواسطة السيخ الحديدى ، و بدأ يتلو بعض الآيات القرآنية ، ثم تلاها ببعض الكلمات التى كان يتمتم بها ، و لم استطيع فهم شيئا منها إلا بعض الكلمات البسيطة مثل (اقسم ، الحى ، الله ..... الخ) ، كنت اموت هلعا ولا أدرى ماذا يفعل هذا الرفاعى المختل ، بعد لحظات فوجئت بخروجها بهدوء لا أفهمه ، ثم نظرت إليه .. نعم نظرت إليه و كأنهما يتواصلان بطريقة خفية هذا ما حدث ، ثم غادرت عبر شق نافذ إلى الخارج كان بإحدى الجدران

_ ما هذا ، ارجوك اخبرنى ايها الرجل الشجاع ؟

ابتسم فى انتصار ، ثم جلس بجانبى و اشعل لفافة تبغ ، ثم اجاب :

_ لا تتعجب ، لقد تعلمت ذلك على يد أحد أصدقاء والدى رحمه الله ، الذى كان يعمل رفاعى و يتقن فن استخراج الثعابين من اى مكان .

_ و لماذا لم تقتلها ؟

لم يتخلى عن رفع حاجباه ، ثم أجاب :

_ لأنها انصاعت إلى و قبلت العهد .

_ سأبدأ أن اخشاك فيما بعد .

هكذا أخبرته صدقآ ، لكنه بادرنى الحديث مبتسماً

_ دعك من هذة الحماقة ، سوف اقوم لأبدأ العمل الان ، و اذهب انت لتريح جسدك المتعب .

قالها ثم غادر جلسته

_ كيف سألوذ بالنوم بعد ذلك ؟

تسائلت :

_ لا تخف ، ما يريده الله سيحدث رغماً عنا ، فقط عليك أن تقول ثلاثآ (اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) ، و لن يؤذيك شيئآ بعدها ، و تذكر ايضآ أن تذكرنى فى الصباح عند ذهابى للسوق _ أن ابتاع (شيح) لكى تنفر الثعابين من هذا المكان .

قمت بترديد الدعاء ، لكنى لا اخفى عليك ، كنت مازلت خائفاً ، تمدد جسدى لفترة طويلة ، لكن عيناى لم تغفل ، ظللت أترقب المكان من حولى بتوجس ، لكن غلبنى النعاس فى النهاية .

.....

اليوم الثانى.....

.....

ايقظنى عماد ، فنظرت إلى الشاشة الصغيرة لهاتفى المحمول ، فوجدت الارقام تشير الى السابعة و النصف صباحا ، فردت زراعى و كأنهما جناحان لنسر يحلق فى السماء ، ثم غادرت فراشى البسيط ، ليبدأ يوماً جديد بشعور من التفائل على عكس مشاعر الأمس ، سعلت و انا افرك عيناى لانفض عنهما غبار النوم ، نظرت حولى فوجدت الخيوط الذهبية للشمس تسللت الى المكان ، ، كان عماد يجلس فوق إحدى الكراسى الخشبية و يضع ساق فوق الأخرى ، و يحمل فى يده كتابا غارقآ فى قراءته ، كعادته التى لا تتناسب مع مهنتنا ؛ بعد قليل ذهب عماد إلى السوق ليبتاع لنا وجبتى الفطور و العشاء ، لان وجبة الغداء لا مكان لها فى مهنتنا الكريمة ، من حيث توفير المال اولا و ضيق الوقت ثانياً ، و بعد قليل كان رب العمل قد حضر ، و القى علي التحية مبتسماً ، و غمرته السعادة عندما ألقى نظرة على انتاجنا الغزير من الاقمشة ، خلال الأربعة و عشرون ساعة الماضية ، معقباً (الله ينور يا رجالة) ؛ بعد مرور ساعتين عاد عماد حاملاً بعض الاكياس البلاستيكية التى تحوى احتياجاتنا ، تناولنا الفطور سريعاً ، ثم استأنفت عملى من جديد ، بعدما قمت بمساعدة عماد فى نثر (الشيح) الذى جلبه ، حول الماكيناتان و بجانب الجدران و حول دورة المياة صغيرة المساحة ، و فى كل مكان تقريباً ، تحت أنظار رب العمل المندهش مما نفعل ، فلم يستطيع منع نفسه من التسائل :

_ ما هذا الشئ الذين تلقونه هنا و هناك ؟

_ إنه شيح ، من أجل تطهير المكان من الثعابين .

هكذا اجاب عماد ، دون أن يلتفت اليه ، ثم قام بإشعال ما تبقى منه ، ثم غط عماد فى نوم عميق بعد ذلك ، ولا اعلم كيف استطاع فعل ذلك ، دون أن يتأثر بتلك الرائحة ، لكنه عماد على كل حال ، لا يبالي بأى شئ فى العالم ؛ فى المساء و خلال تناولنا العشاء ، قمت ببصق لقمة الخبز التى كانت اسنانى تعمل على طحنها ، عندما رأيت ظلال اسود يشكل جسداً بشرياً لكنه بلا اى ملامح ، ركض سريعاً من أمام البوابة الرئيسية المغلقة من الداخل ....

_ ماذا بك ايها المخبول ؟

تسائل عماد

_ لقد رأيت للتو شبحآ ، يركض بسرعة عجيبة .

قلتها و انا جاحظ العينين ، و اشرت بسبابتى إلى الجزء الذى مر به ذلك الشبح اللعين

_ انك تتوهم ، ربما اهتزت الإضاءة المنبعثة من اللمبة النيون المعلقة فى الاعلى ، فخلفت ظلال اسود على الجدار و هذا وارد .

_ اقسم لك ، اننى رأيته بالفعل ، ارجوك لا تشكك فى قدراتى الذهنية .

ذم شفتيه فى نفاذ صبر ، ثم انتظر حتى ابتلع ما بداخل فاه من طعام ، ثم أردف :

_ يا صديقى العزيز ، اعلم انك راجح العقل ، و ربما أكثر حكمة من سقراط ذاته ، لكن بمنتهى البساطة لم استمع يومآ أن الاشباح تظهر لشخصين ، انهم أكثر خجلا مما تظن ، ثم اننى اريدك ألا تنسى بأن مهنتنا تسلب المرء حاستى النظر و السمع بالتدريج ، و ربما خوفك الزائد من موقع المكان و ما يحيطه من فراغ ، هو السبب الرئيسى فى ذلك .

_ ربما .

قلتها بعدم اقتناع لانهاء الحديث الذى لن يعود على بالنفع ، كانت رغبتى فى مغادرة المكان تزداد يوما بعد يوم ، لكن الشئ الذى كنت اتشبث به لاعادة شحن طاقة الصبر بداخلى ، هو اننى لا اتواجد فى المكان وحدى ، فى الليل اكون نائمآ و عماد يؤدى عمله بجانبى ، و فى النهار أثناء نوم عماد _ يكن رب العمل بجانبى أيضا ، فى النهاية قلت لنفسى لا داعى للقلق .

.....

اليوم الثالث.....

.....

استيقظت فى هذا الصباح وحدى بمعجزة ما ، لا اعلم كيف ! ، فأنا من النوع الذى يجب أن يوقظه أحدهم ، و إلا أستمر فى النوم حتى يوم البعث ، لاننى اغط فى ثبات عميق ولا أتأثر بأى صخب يدور حولى ، لكن ربما لانى قلق بشأن المكان ، أو ربما مل جسدى الاستسلام لذلك الناموس الوحشى المنتشر هنا ، الذى لا يختلف كثيرا عن مصاصى الدماء ، نظرت إلى هاتفى فعلمت أن الساعة هى السابعة صباحاً ، كنت افرك عينى عندما تسلل إلى اذنى صوت أحدهم يبصق فى غضب ، اتجهت بنظرى تجاه الصوت فوجدته عماد ، كان يقف فى أحد الجوانب يستند بزراعه الايسر فوق الحائط ، و يحمل فى يده الأخرى كوباً يرشف منه حتى يتكور الجانب الأيمن من فاه ، فيصدر صوتاً مزعجاً و هو يمارس (المضمضه) ، ثم يبصق ما رشفه مرة أخرى ، و كانت تعتلى وجهه علامات الغضب و الانزعاج ، كل ذلك و عيناه مغلقتان فى تراخى

_ ماذا بك يا صديقى ؟

تسائلت مستفسرا و انا ادنو منه

_ إنه ضرسى اللعين .

قالها و هو يسند رأسه بواسطة راحة كفه الايمن

_ و ما هذا الذى ترشفه ؟

_ أنه محلول من الماء و الملح ، لخفض الالم قليلا .

قالها ، ثم جلس القرفصاء ، واضعاً كفيه فوق رأسه الاصلع المنتكس للأسفل ، و هو يئن من الألم

_ سأذهب الأن لابتاع الطعام من السوق ، و سوف اجلب لك بعض المسكنات .

أومأ برأسه إيجاباً ، ثم وصف لى الطريق ؛ غادرت المصنع و بدأت اسير فى تؤوده ، مستمتعاً بالهدوء من حولى بعيدا عن الصخب التى اعتادت اذنى عليه ، كان قرص الشمس فى الاعلى هادئ اليوم ، نظراً لانخفاض درجة الحرارة ، و كنت أتأمل فى الفراغ من حولى و كأنى فى صحراء شاسعة ، متجاهلا بالطبع اى شئ قذر ملقى على جانبى الطريق ، بعد دقائق من السير كنت قد بدأت التوغل بين المنازل البسيطة لسكان القرية ، و كنت اتابع الاطفال الذين يرتدون الزى المدرسى ، و هم يغادرون منازلهم بوجوه عابسه متجهمه تحت قيادة أمهاتهم ، و كأنهم يجروا إلى ساحة الإعدام جراً ، نعم أنا أتفق معك فى الرأى ، فى كونهم لا يكرهون المدرسة أو التعليم ، لكنهم يمقتون الاستيقاظ مبكراً ، ربما الأمر لا يقتصر على الاستيقاظ المبكر فقط ، بل طريقة ايقاظهم ذاتها ، لاننا لا يمكن أن نتجاهل النسبة الأقل منهم _ الذين يتمتعون بإبتسامة رائعة ، تعتلى وجوههم أثناء اتجاههم إلى نفس المكان ، يجوز أن المعلمين و المعلمات لا يهتمون بفعل اشياء مبهجة و محفزة ، تجعل التلاميذ يرغبون فى الذهاب الى الدراسة بدافع الحب و الرغبة فى الاستمتاع ، ربما الأهل ذاتهم يقومون ببث شعور سئ بداخل الطفل ، يجعله يشعر بأنه مجبراً على الذهاب دون إرادة حقيقة منه تجاه ذلك ، فى النهاية الجميع مسؤولون عن المشاعر التى تنتاب هؤلاء الأطفال البؤساء ؛ بعد قليل كنت قد وصلت السوق ، حيث الباعة الجائلين على الجانبين _ منهم من يعرض بضاعته فوق عربة يد ، و آخرين يفترشون جوالات على الأرض يعرضون فوقها الخضروات و الفواكه ، اتجهت نحو سيدة عجوز ترتدى جلباب اسود متهالك ، كانت جالسة ارضا ، و فى يدها كيس بلاستيكى صغير ، تلوح به يمينا و يسارا لطرد الذباب ، تضع أمامها طبقين تم صنعهما من البلاستيك ، و كانا من الحجم الكبير ، الاول يحوى بداخله مكعبات من الجبن الفلاحى (قريش) ، اما الثانى فكان بداخله عدد لا بأس به من البيض البلدى صغير الحجم ، و بجانبها كانت هناك زلعتان أو كما يطلق عليها البعض (بلاصان) ، احداهما تحمل فى باطنها الجبن القديم (مش) ، و الأخرى تحمل العسل الاسود

_ صباح الخير ، يا امى .

_ صباح الفل ، يا بنى .

هكذا بادلتى التحية بإبتسامة رائعة ، أظهرت التجاعيد المتفشية فى ملامح وجهها المتعب

_ احتاج الى بعض الجبن القديم ، و العسل الاسود ، من يدك الكريمة .

أشارت بسبابتها تجاه عينيها المتراخى جفناهما قليلا

_ عينى يا ولدى .

قالتها و هى تستخرج كيس بلاستيكى و معلقه و همت لتجلب ما طلبت

_ انت لست من أهل البلد يا ولدى ، صحيح ؟

لم اتعجب ، لان سكان القرى دائما يعرفون بعضهم البعض ، و لديهم وجوه مألوفه ، ربما ملامح المرء تتأثر بالطبيعة التى ينشأ بداخلها ، مما يضفى على وجهه علامات مميزة و .....

_ نعم ، اعيش فى القاهرة ، لكنه اكل العيش .

اجبتها ، ثم انحيت قليلا لاعطيها المال ، و على الرغم من إصرارها على عدم اخذ المال ، برغم احتياجها الشديد له ، بعيدا عن أنه حقها من الأساس ، لكنى كنت أكثر إصرارا فتناولته برضا ، بل و قامت بتقبيله قبل أن تدسه فى كيس من القماش معلق عند نهدها ، ثم ناولتنى ما طلبت ، و تسائلت :

_ اين تعمل يا ولدى ؟

كانت تحدق بى فى انتظار الاجابة

_ اعمل فى مصنع ال .....

و بعدما ذكرت لها اسم رب العمل ، و قمت بوصف المكان ، تبدلت ملامحها تماما ، و ظهرت ملامح الغضب على وجهها ، و اشاحت بوجهها بعيداً عنى ، و ظلت تردد

_ سترك يا الله ، حفظك الله يا ولدى ، حفظك الله

ثم ظلت تتمتم بكلمات مبهمة و شفتاها ترتجفتان ، حاولت أن استفسر منها ماذا تقصد ؟ ، لكنها لم تجيب و لم تلتفت إلى مرة أخرى ، ابتعدت عنها و انا لا اعلم ماذا هناك ؟ ، لقد اصابتنى هذة السيدة بحمى التفكير بلا توقف ، ولا اعلم كيف قمت بشراء باقى احتياجاتنا ، حتى اننى كنت قد نسيت احتياج عماد للمسكن ، لولا أنه قام بتذكيرى عبر الهاتف و هو يتألم ، فى النهاية عودت إلى العمل ؛ ابى عماد أن يتناول الطعام نظرا للالم الذى تسبب به ضرسه ، و اكتفى بأنه استلقى فى المكان المخصص للنوم ، بعدما تناول المسكن بطريقة من يتعاطى المخدرات ليهدأ ، و كذلك انا لم استطيع تناول الطعام أيضا ، كان مشهد السيدة العجوز يتردد فى رأسى بلا توقف ، و ذلك كان كافياً لفقدانى الشهية نحو الطعام ، قضيت اليوم شارداً فى هذا الأمر ، و لم اكف عن التدخين بشراهة ، كان رد فعل المرأة غامضاً يثير الريبة حقاً ؛ كنت أشعر بالآسى تجاه عماد الذى لم يستطيع أن ينعم بنوماً هنيئاً كعادته ، كان يغادر مضجعه كل ساعتين او ثلاثة ساعات تقريباً ، ليمارس نفس عملية المضمضه بالملح الذائب فى الماء ، حتى مل الأمر _ و من المؤكد ان جسده الضئيل المنهك ، أصبح ثقيل الحركة و لم يسمح له بالذهاب و العودة هكذا ، فأحتفظ بزجاجة من الماء و كوب و عبوة الملح بجانبه ، كنت اترقبه دون أن احاول التحدث إليه و هو فى هذا الوضع ، فى تمام السابعة مساءً كان قد غلبه النعاس رغماً عنه ، مؤكد أن الالم توقف بشكل مؤقت بالطبع ، بعدما تناول ثلاثة حبات من المسكن ، لم اكن قاسى القلب لكى اقوم بإيقاظه ليتسلم عمله ، تركته نائماً و استأنفت العمل بدلا عنه ، و اتخذت قرارا بأن اعمل طوال الليل و لن اوقظه ؛ فى العاشرة مساءا استيقظ وحده

_ لماذا تركتني نائماً ؟

سألنى ، و نحن نتناول العشاء

_ كان يتوجب على فعل ذلك بحكم صداقتنا ، و انت كنت تتألم ، و فى حاجة ماسة إلى الراحة .

_ لكنه ، لا ذنب لك فى ذلك .

ابتسمت له فى حب ، ثم قولت :

_ دعك من هذا الكلام ، و هيا بنا نتناول الطعام .

نظر إلى لبرهة ، ثم ابتسم ، و قال :

_ انت رجل طيب القلب ، كما اخبرتك من قبل .

لم اجيب ، و لكنى حولت دفة الحديث إلى جانب آخر ، و قصصت عليه ما حدث معى عندما كنت فى حضرة السيدة العجوز

_ أنصت إلى جيدا يا صديقى ، كما اخبرتك من قبل ، لا تهتم ، فما يريده الله سيقع بلا ريب ، و لن يستطيع أى بشرى إيقافه ، و دعك من القلق لانه سيفسد عليك حياتك .

كانت طريقته فى الاقناع جيدة ، و كلماته أيضا مطمئنه ، فأكتفيت بإيماءة من رأسى لتؤكد على اقتناعى

.....

اليوم الرابع.....

.....

ايقظنى عماد صباحاً و كان لازال يعانى ، بدأت العمل و ذهب هو إلى السوق كالعادة ، ليبتاع الطعام لنا و يجلب لنفسه بعض المسكنات ، و مر اليوم حتى جاء المساء و كان عماد ليس على ما يرام ، لم يذق النوم من الألم الذى تسبب به ضرسه ، و قد تناول عدة مسكنات مختلفة لكن بلا جدوى ، اقترحت عليه ان يذهب إلى طبيب أسنان _ ليقوم بوقف تلك المأساة ، و يا ليتنى ما فعلت ، كانت السادسة مساءاً عندما ذهب إلى الطبيب ، و بعد مرور ثلاثة ساعات تقريباً حدثنى عبر الهاتف بصوتا يوحى بألم لا يطاق ، و اخبرنى إنه فى طريق العودة إلى المنزل ، جحظت عيناى و تسائلت عن السبب ؟ ، قال لى بنبرة غاضبة إلى أبعد الحدود ، أن الطبيب (الحمار) كما وصفه ، قام بخلع ضرسا آخر غير الذى ذهب له من أجله ، ثم أطلق سبة بذيئة ، و عدد لا بأس به من المصطلحات القذرة التى تهين والدة هذا الطبيب البائس ، و أضاف أنه سيعود بعد يومين ، و عندما أخبرت صاحب العمل عبر الهاتف بذلك ، سألنى هل يمكنك ان تعمل بدلا منه ؟ ، أجبته نعم ، لكنى سأقوم بالنوم لمدة أربعة ساعات ، بداية من الرابعة صباحا حتى الثامنة صباحاً _ لكى استطيع الاستمرار فى العمل ؛ هكذا صرت وحيدا داخل هذا المكان المنعزل عن العالم ، نسيت ان أخبرك بأن لهذا المصنع بابان ، أحدهما صغيرا لا يسمح الا بمرور فردا واحدا ، و الاخر هو البوابة الرئيسية الضخمة التى تسمح بمرور سيارة نقل ، قمت بإغلاق البوابة الرئيسية بإحكام ، و تركت الباب الصغير مفتوحاً ليحنو على ببعض نسمات الهواء الرطبة ، كانت الثانية عشر صباحاً ، عندما كنت واقفاً عند الباب الصغير انفث الدخان ، و أترقب الفضاء فى الخارج ، لقد غرق كل شئ فى الظلام ، حتى السماء اليوم مظلمة بشكل مخيف و كأنها حزينة على غياب القمر عنها ، لكن هناك نقاط إضاءة ضعيفة جدا ، ربما هى النجوم و ربما أماكن بعض النجوم التى غادرت ، لكن لازال ضوءها موجود ، كما اخبرنى أحدهم من قبل ، توقفت إحدى ماكيناتى فدولفت الى الداخل لكى اعيد تشغيلها ، و عندما اصبحت المسافة بيننا لا تتعدى الثلاثة خطوات _ رأيتها تعمل مرة أخرى من تلقاء نفسها

_ ما هذا العبث ؟

ظللت احملق بها بدهشة حقيقية ، لانه بمنتهى البساطة ، لا يمكن أن تعيد الماكينة تشغيل ذاتها دون تدخل بشرى ، انه امر من عاشر المستحيلات ، كأنك مثلا تخبرنى أن طفل فى المهد قام بالذهاب إلى دورة المياة وحده ، فى النهاية قلت لنفسى ربما خيل لى لانى فى حاجة إلى النوم ، بعد دقائق كنت اجلس أمام الباب مرة أخرى ، انفث الدخان محاولا تناسى ما حدث ، توقفت الماكينة الأخرى فدولفت الى الداخل فى توجس ، و توقفت عن السير بعد الخطوة الثانية بالظبط ، فركت عيناى بكل قوة ، صفعت ناصيتى عدة مرات

_ من هذا الشخص ؟

كان هناك رجل فى مثل عمرى ، كنت أراه من الدبر ، نعم أراه جيداً ، منحنى عند مقدمة الماكينة يقوم بالعمل على إعادة تشغيلها

_ يا هذا ؟ ، من انت يا رجل ؟ ، و كيف وصلت الى هنا ؟

كنت أصيح متسائلا إياه ، لكنه لم يجيب ، أنهى ما يقوم بفعله ثم قام بتشغيل الماكينة من جديد ، لم أجرؤ على التقدم تجاهه ، فأنا لا اعلم ماذا يكون بالظبط ، لكنه نظر إلى بوجه بشرى لم استطيع تفحص ملامحه ، و ظهرت على وجهه ابتسامة شيطانية ، ثم ركض بأقصى سرعته تجاه الحائط الخرسانى ، و عبر دون أن يعيقه شئ ، هنا سقط ارضاً لم تستطيع ساقى أن تحملنى بعد هذا المشهد ، كنت أجلس محاولا ايجاد تفسيرا واحدا ، لكى استطيع الحفاظ على عقلى من الخلل و الجنون ، لكن سرعان ما توقفت الماكينة مرة أخرى ، نظرت إليها فى توجس و خوف ، هذة المرة سمعت صوت طرقات مميز يحدث عندما يصطدم جسم صلب بالحديد ، أنصت جيدا متتبعا الصوت الذى لم يتوقف ، حتى علمت أنه يأتى من الجزء العلوى للماكينة ، و عندما رفعت وجهى إلى الأعلى مضيقاً حدقتى عينى ، كانت المفاجأة ، يجلس هناك كهل ذو وجه شاحب ، و لحية بيضاء قصيرة ، و رأس تساقط الشعر عند مقدمته ، يرتدى الزى الازرق المتسخ قليلا ببعض بقع الشحم و الزيوت _ الزى المخصص لفنيين الميكانيكا ، تهتز ساقه المتدلية فى عصبية ، تظفر يده اليمنى بإحدى المفاتيح المعدنية الخاصة بالاصلاح ، و يشير إلى بيده الأخرى المغلقة اللهم إلا من السبابة ، التى تشير إلى الاسفل فى حركة شبه آلية أعلمها جيدا ، يقوم بفعلها دوما الفنى المخصص للإصلاح الماكينات من هذا النوع ، عندما يكون هناك عطل فى الجزء العلوى ، و هى تعنى أن يقوم عامل التشغيل بتحريك الماكينة ببطئ ، لم ينظر إلى ابدا لقد كان منشغلا بفحص شيئاً ما بالأعلى ، كانت عيناى متسعة من فرط الدهشة و انفرغ فمى على آخره من الهلع ، حاول الرجل أن ينتصب واقفا و هو يصب كل تركيزه على الجزء الذى يريد إصلاحه ، و ارتسمت علامات الانتصار على وجهه الشاحب و كأنه عثر اخيرا على ضالته ، و فجأة انزلقت قدماه فسقط ارضاً و أحدث سقوطه ضجة عالية _ امتزجت بصرخة اظن انها جاءت من اعماق أعماقه ، كاد صداهما أن يخترق طبلتى اذنى ، و هنا انفجرت رأسه و تناثرت الدماء من حوله ، دون أن تستثنى وجودى لقد لطخت وجهى و ملابسى ، و هل كان هذا المشهد هو نهاية العرض ؟ ، تمنيت ذلك لكن الأمر لم ينتهى بعد.. ، و بدون مقدمات و فى اقل من الثانية وجدتنى اقفز من مجلسى ، و اركض بكل ما أوتيت من قوة متجها إلى الخارج ، توقفت و انا الهث محاولا التقاط انفاسى ، أخرجت هاتفى سريعاً و قمت بالبحث عن الرقم الخاص بصاحب العمل

_ اللعنه على حظى السئ .

قولتها بغضب شديد ، عندما رأيت العلامة الحمراء فى اعلى الجانب الايسر من شاشة الهاتف ، التى تشى بأن شحن بطارية الهاتف على وشك الانتهاء ، شعرت برغبة عارمة فى تحطيم الهاتف اللعين ، قمت بالاتصال لكنه لم يجيب فى المرة الأولى ، عاودت الاتصال مرة أخرى

_ اين انت يا حاج ؟

ظهرت على صوته الدهشة من السؤال ، اجاب بسؤال لا إجابة ، " ماذا حدث عندك ؟ " ، كان يظن أن هناك حريق نشب في مصنعه ، هكذا توقع _ و ذلك كان أقل سوءا مما حدث لى

_ هناك اشياءا عجيبة تحدث هنا ، لقد رأيت.....

نقلت له بعض الأحداث التي شاهدتها سريعآ ، لكن تعليقه على الأمر ، كان أكثر سزاجه و استفزاز ، اخبرنى أنه ربما خيل لى ، قلت له بطريقة عصبية الى حد بعيد

_ لا تثير غيظى من فضلك ، انا لست بمخبول ، و اعى جيدا ما اقول ، عامة لا داعى لكل ذلك ، يجب أن تحضر الأن بنفسك ، لن أستطيع أن اعمل فى هذا المكان بعد الأن .

اخبرنى بأنه خارج القرية تماماً ، فى إحدى المحافظات الأخرى ، و انه سيقضى هذة الليلة فى تلك المحافظة ، و سيعود فى الصباح ، ثم حاول تهدئتى بقدر الإمكان ، و أضاف أنه ربما سبب رؤيتى لهذا الأمر ، اننى علمت بأمر فنى الميكانيكا الذى توفى فى نفس المكان منذ عام ، اثر سقوطه من الجزء العلوى للماكينة أثناء محاولته لإصلاحها ، مضيفاً (الناس مبتبطلش كلام يا اخى)

_ م ا ذ ا تقووول ؟؟؟؟؟؟؟

فجأة غاب الصوت ، نظرت إلى الهاتف لأجده انطفئ نظرا لإنتهاء شحن البطارية ؛ ظللت استعيد ما قاله هذا المخبول عن موت الرجل ، لماذا ؟ ، لماذا لم تخبرنا منذ البداية يا ابن العاهرة ؟ ، ايعنى هذا أن ما رأيته هو ما حدث منذ عام ! ، لكن كيف ذلك ؟ ، و الدماء ! ، هنا تذكرت الدماء التى سالت على ملابسى ، نظرت لأجد أنه لا أثر لها ، أشعلت لفافة تبغ ثم لفافة تبغ ثم لفافة تبغ ، كانت قد مرت ساعة تقريبا ، حتى تسلل إلى اذنى صوت احتكاك قدم بالأرض ، لكنها ليست لبشر إنها لحيوان بالتأكيد ، تتبعت الصوت الطفيف ثم أمعنت النظر جيدا ، لأفاجئ بهذا القط الاسود المخيف ، الذى يكسو الظلام جسده ، كان يقف على مقربة منى و مقلتيه مضيئتان مما جعلهما يبدو أكثر رعبا ، كان يحدق بى فى صمت و لم يطلق اى مواء ، تسمرت فى مكانى و لم استطيع ان احرك ساكنا ، بعد لحظات من الصمت ، قال ! .. نعم القط .. قال :

_ يجب أن تغادر ، و لا تعود مرة أخرى ، لا تعود أبدآ .

ابتلعت ريقى بصعوبة شديدة ، دون أن يرمش لى طرف ، و شعرت بقطرات الدموع الساخنة _ تتساقط فوق وجنتى ، رمقنى هو بنظرة أخيرة ، ثم غادر فى هدوء ، ظللت ابكى من فرط الهلع الذى اصابنى ، فجأة سمعت صوت عواء لذئب ، لم استطيع التنفس ، لاحظت أن الظلام لم يعد دامسآ ، نظرت إلى السماء فوجدت القمر يقبع هناك ، تسائلت :

_ متى جاء ؟

لكن لا داعى الان ، ارتفع الصوت أكثر ، لكنها أصوات ربما لعدة ذئاب ، إن الأصوات تقترب ، تقترب أكثر ، فأكثر ، فجأة امتزج صوت العواء بصوت اقدام تركض تجاهى ، نظرت حولى سريعا لأجد مجموعة من الذئاب تشق الظلام ركضآ بإتجاهى ، كانت المسافة كافيه لكى ادولف داخل المصنع الذى يفصل بينى و بينه عدد خمسة خطوات ، و بالفعل فوراً عندما اصبحت بالداخل ، دفعت الباب الحديدي بكل قوة ، ثم قمت بغلق المزلاج جيداً ، و جلست ارضا متقوقعا على ذاتى ، أمسكت رأسى بين يدى فى محاولة لمنعها من الانفجار ، و بدأت ابكى كثيرا من فرط الخوف

_ ربما هى ليلتى الأخيرة فى الحياة .

هكذا تحدثت إلى نفسى ، ثم تذكرت اننى فى حاجة ماسة لمحادثة زوجتى ، و سماع صوت اولادى ، ما دمت سأغادر الحياة ، فإنه يتوجب على أن أقول وداعاً لاحبائى ، لكن كيف ؟ ، يجب أن أقوم بتوصيل الشاحن بالهاتف ، لكى تنهض بطاريته الناعسه ، و بالفعل احضرت الشاحن ثم قمت بتوصيله بالهاتف ، كل ذلك و انا أتلفت حولى فى كل لحظة ، و عندما قمت بتوصيل الشاحن بقابس الكهرباء ، أصدر صوت فرقعة جعلنى اقفز إلى الخلف فوراً ، و انطفأت الأضواء كلها ليحل مكانها ظلام مرعب كئيب ، انها ليلة ملعونة حقا ، ظللت أترقب كل شبر فى المكان ، بعينان جاحظتان لا يملكان الجرأة على الإغلاق ، مرت لحظات كنت استمع فيها إلى _ هدير الرياح ، و عواء الذئاب ، و عرير الصراصير ، و نباح الكلاب ، و نقيق الضفادع ، و أزيز الذباب الذى يظهر لأول مرة ليلا ؛ فجأة تلاشت جميع الاصوات ، و ظهر صوتا جديداً ، أنصت جيدا حتى علمت أنه على الأرجح كشيش ، و هو صوت يصدر من جلد الثعبان ، تأكدت من ذلك عندما استطعت رؤيتها ، تحت خيط رفيع من ضوء القمر ، و هى تغادر دورة المياة زاحفه بطريقتها المرعبة ، نعم كانت حيه ربما يتخطى طولها الثلاثة أمتار ، تزحف ببطئ شديد ، و هى تصدر فحيح من فيها ، و يتراقص لسانها الملعون مثلما يتراقص اللهب ، كتمت انفاسى و انا اترقبها ، و صدرى يعلو و يهبط نتيجة لخفقان قلبى المفزوع ، كانت المسافة بيننا أكثر من عشرة خطوات ، و انا لا اقوى على الوقوف أو الفرار ، فهناك بالخارج تنتظرنى الذئاب ، فلا يمكننى الخروج أبدآ

_ ماذا افعل ؟

كنت اتسائل فى قرارة نفسى ، و انا اعلم جيدا أنه لا مفر من القدر ، سأموت بعد لحظات ، سوف يأتى رب العمل صباحاً ليفاجأ بجثتى ، سوف يقوم بإبلاغ الشرطة التى ستأتى بدورها لتبحث فى الأمر ، و تتقصى عن سبب الوفاة ، سوف يقررون أن تشرح جثتى البائسة ، و فى النهاية سيعلمون ان سبب الوفاة ، اما سكتة قلبية ناتجة عن خوف شديد ، أو ان سم هذة الافعى اللعينة ، قد تسلل إلى اوردتى و اختلط بدمائى ، أو كلاهما معاً ، و فى النهاية سيقوم رب العمل بإرسال حفنة من النقود إلى اسرتى لارضاء ضميره ، و بالطبع لن تكفى لاطعامهم لمدة ثلاثة أيام على التوالى ، و سوف تشرد اطفالى ، و تتسول زوجتى عند الأقارب لجمع بعض المال الضئيل ، يا لها من مأساة ؛ لازالت الحية تزحف تجاهى فى هدوء و بطأ ، اصبحت على بعد سبعة خطوات منى ، فجأة ظهر صوت حشرجة من مكان ما هنا ، انتظر .. ماذا ؟ .. كيف ! ، انه الراديو العتيق المغلف بالغبار.....

_ ما هذا العبث ؟؟؟؟ ، كيف يصدر صوتاً و هو لا يتصل بالكهرباء !!!!! ، التى هى مقطوعه اصلا .

إنه يهتز من تلقاء نفسه و يتساقط التراب عنه يميناً و يساراً ، هنا دوى صوت عبر سماعته لا يتناسب مع حجمه الصغير ، انها مجموعة صرخات مفزعه لا تستطيع تحديد نوعها ، هل أصوات صراخ نساء ام رجال ! ، خليط من الصرخات تصم الاذان ، ربما تأتى من الجحيم ذاته ، قمت بسد اذانى من شدة الصوت ، و كان جسدى يرتعد و ينتفض ، ظهر صوت مزعج لطرقات تأتى من الخارج ، هناك من يقوم بالطرق فوق السقف الصاج للمصنع ، مستخدماً أحد الاجسام الصلبه ، كان الصوت يختلط بصوت الصرخات ؛ فجأة ظهرت أجساد مغلفة بالبياض المتسخ قليلا ، للدقة هى جثث اموات يرتدون الكفن يدخلون عبر الحائط ، يسيرون مترنحين كالسكارى بخطوات بطيئة ، يزداد عددهم فى كل ثانية ، توقفت الافعى على بعد ثلاثة خطوات منى ، انتصبت واقفة و تضخمت رأسها ، و ظلت تترنح يميناً و يساراً ، الجثث لم تتوقف يسيرون بإتجاهى ، ظللت ازحف إلى الخلف جاهداً ، ازحف و أتراجع .. أتراجع ، الصراخ يعلو عبر الراديو ، يعلو أكثر ، أتراجع أكثر ، تتقدم الجثث ، تتراقص الحية ، أصوات العواء ترتفع بالخارج ، تراجعت هذة المرة حتى أصبحت التصق بالجدران ، و .....

_ الرحمة يا الله .. الرحمة يا الله

هكذا كنت أردد دون وعى ، و ظللت ابسمل و احوقل و اعتصر ذاكرتى التى فقدت جزءا كبيرآ منها ، محاولا استعادة بعض الآيات القرأنية الصغيرة التى احفظها عن ظهر قلب ، نظرآ لكونى رجلا أميآ لا يعلم القراءة و الكتابة ، و كان لسانى يتلوها متلعثمآ _ و الكلمات تخرج من بين شفتى المرتجفتان بصعوبة بالغة ، اننى رأيت ما لم تتحمل رؤيته عين بشر ، كانت ليلة سوداء بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، كان قلبى الواهن ينتفض داخل قفصى الصدرى ، ربما كان يحاول الفرار من هول الموقف _ و لعدة مرات كاد أن يتوقف عن العمل ، كنت احجب عيناى عن الرؤية بواسطة كفى ، لكنهم لم يكفوا عن اللهو و الصراخ المرعب و العبث فى كل شئ ، و ظللت اسب هذا الوغد المدعو (عماد) صديقى ، الذى تسبب فى مجيئ إلى هذا الجحيم بكامل ارادتى اللعينة ، فليذهب المال إلى الجحيم ، كان الجوع سيكون أكثر رحمة و رفاهية ، مقارنة بالتواجد داخل هذا المكان الملعون ، اننى محاصر من جميع الاتجاهات ولا املك من امرى شيئاً ، سوى الدعاء بالنجاة أو الموت السريع _ الذى كنت أفضله عن ما كنت فيه ، لم يستطيع عقلى تحمل كل ذلك ، بدأت الرؤية تهتز و تتلاشى ببطء تدريجى ، حتى أصبحت الصورة سوداء تماما ، و هنا .. هنا بالتحديد فقدت الوعى

.....

بعد مرور بعض الوقت ، الذى لا يعلمه إلا الله وحده ، استعدت وعيى ولا اعلم كيف ! ، حين تسلل إلى اذنى صوت طرقات تأتى من البوابة الرئيسية ، و كانت مستمرة لا تنضب ، و كانت تختلط بأصوات بشرية تصيح بلا توقف ، بالطبع لم أكن فى حاجة إلى تذكر ما حدث ، لانه بمنتهى البساطة قد نحت فى ذاكرتى إلى الأبد ، بدأت أترقب المكان من حولى بنصف عين ، لأنى لازلت اموت هلعا ، تسلل سريعاً إلى نظرى الخيط الذهبى الرفيع لضوء الشمس ، و كانت هذة هى الإشارة الأولى التى تخبرنى بأنى نجوت ، نهضت من رقدتى و جلست غير مصدق ، و بدأت امسح المكان بنظرى ، لا توجد جثث ، لا توجد حية ، لا صراخ ، لازال الراديو مغلف بالغبار و فى موضعه الطبيعى ، كل شئ عاد إلى طبيعته ، حتى الكهرباء قد عادت ، تنهدت فى رضا

_ حمدا لله .

لازالت الطرقات تأتى من البوابة الرئيسية ، و سمعت من يصيح بأسمى مناديا من الخارج ، اظن اننى اعلم جيدا صاحب هذا الصوت ، تحاملت على نفسى و اتجهت إلى البوابة ، عالجت المزلاج ببطء ، و كنت امسك رأسى بيدى ، و عندما فتحت الباب ، وجدت رب العمل و عماد يقفان بملامح متوترة....

_ هل انت بخير ؟

تسائل عماد

_ نعم ، حمدا لله .

علمت أن عماد عاد سريعاً ، عندما أخبره رب العمل عبر الهاتف ، بالمحادثة التى دارت بيننا فى المساء ؛ و مر من الوقت ما يقارب الساعة تقريبا ، تم إنفاق جزء كبير منها فى سرد ما حدث لى ، و جزء آخر فى لوم رب العمل الماكر ، الذى اعترف تحت الضغط أن هذة الأرض المشيد عليها المصنع ، كانت مقابر فى الأصل من قبل ، و أن هذا هو السبب الرئيسي في نفور العمال من المكان ، و ايضا فى إعطائنا ضعف الأجر ، و بالطبع لم ينسى أن يقص علينا حادثة فنى الميكانيكا ، أما الجزء الأخير من الوقت ، كان الرجل يحاول أن يقنعنا بالبقاء ، و إستئناف العمل ، حتى لو قمنا بالعمل سويا في فترة النهار فقط ، و بنفس الأجر ، لكن اقتراحاته جميعاً تم رفضها ، و لم ننسى أن نخبره أنه كان كاذب و مخادع منذ البداية ، و بالفعل تقاضينا أجرنا عن الايام السابقة ، و غادرت المكان اللعين و أنا اشكر الله اننى لازلت عاقلاً و بخير ، كنت أسير بجانب عماد ، و زراعى يلتف حول زراعه بطريقة حميمة مثل جميع الاصدقاء ، عندما نظر إلى و قال :

_ لقد شاهدت بعض الذى شاهدته من قبل .

انعقد حاجبى ، و تسائلت :

_ ماذا تقصد بالظبط ؟

تنهد ، ثم ظهر شبح ابتسامة ساخرة على ثغره ، و اجاب :

_ لقد حاول هؤلاء الاشباح العبث معى أيضاً ، لكنهم لم يفلحوا فى إخافتى ، لكنى خشيت أن اخبرك ، كنت اعلم انك ستقرر المغادرة فى الحال .

قمت بتوبيخه ، و نعته بأشياء كثيرة لا يمكن ذكرها هنا ، بينما هو كان يقهقه بأستمتاع ، كنا قد وصلنا الى موقف السيارات ، التى ستقلنا إحداها إلى القاهرة ، عندما قال :

_ نسيت أن اخبرك ، هناك رجلا يملك مصنع عملاق ، فى محافظة (.....) ، حدثنى عبر الهاتف أمس ، و اخبرنى أنه فى حاجة إلى عاملان ، و سيقوم بإعطائهما ضعفين الأجر و..... .

لم يستطيع استكمال حديثه ، لأنى انقضضت عليه سريعا ، و أغلقت فاه بإستخدام كفى الأيمن ، و دنوت من أذنه ، و همست بها من بين اسنانى بغضب

_ إذا اخبرتنى بشئ مثل هذا مرة أخرى ، سأحطم رأسك بلا رحمه .

لم يفعل شئ سوى أنه أومأ برأسه إيجاباً ، و انفجر فى ضحك هيستيرى .....

(تمت)